



أدب أنستاس ماري الكرملي في عهد ميموده

احتفل الشيخ الجليل الأب أنستاس ماري الكرملي في ٥ آب بعيد ميلاده السادس والسبعين ، منزوياً في صومعته الهادئة ، منصرفاً إلى العمل الذي وقف عليه حياته

إن سيرة الأب الكرملي مثال حي للفكرة التي تتسلط على ذهن الإنسان فتعلق بشغاف قلبه ، وتندو جزءاً من أجزاء نفسه ؛ وأية فكرة هذه التي ملكت لب الأب وهيمت على جوارحه منذ حداثة عهده ؟

هي اللغة العربية ، وأكبر بها فكرة ينزع إليها العقل ، وتروى عنها النفس ، تراءت له وهو فتى لم يكد يبلغ أشده ، فبهره منها الحسن والسناء ، وقطع لها راضياً عهد المودة والوفاء . وها هو ذا بعد ستين سنة أو تزيد لا يزال وفيّاً بالمهد ، متحمساً للغة الصادح حاسة الشباب الفوار ، غلصاً لها إخلاص الشيخوخة المحنكة الحكيمة

كانت اللغة العربية مذ وجدت - ولن تزال - وسيلة للخطاب والتفاهم ، تحمل الأفكار من ذهن إلى ذهن ، وتنقل الأخبار من جيل إلى جيل ، حتى قربت بين الناس ، ووصلت بين الأزمنة الغابرة والحاضرة . وإذا أصبحت بعد تهذيب أطرافها وتنميق أساليبها أداة الآداب الرفيعة ، لم تخرج عن كونها وسيلة لا غناء فيها إلا بما اتخذت له من غاية الإفصاح والتبيان . لكن لكتابتها وتراكيبها - مع ذلك - رجساً في الأذن ، ورسماً على القراطيس حببها أحياناً إلى النفوس ، وقرباها من الأذهان بصرف النظر عن مدلولها ومؤداها

ولقد أشار إلى ذلك أناتول فرانس في كتابه : « الحياة الأدبية » عند الكلام على معجم جديد ظهر في اللغة الفرنسية ، فقال إن بودلير كان يقرأ معجمات اللغة ويتهيج بقراءتها ، وأن تفوق غوتيه كان مولماً بالكلمات يحبها حباً جماً ، وأن جوزيه ماريادي هريديا كان يجهر بأن مطالعة المعجم تستثيره وتدخل على

نفسه من اللذة والسرور ما لا تدخله قراءة رواية « الفرسان الثلاثة » . وأضاف أناتول فرانس قائلاً بأسلوبه الساحر : « أما أنا فلا أجد عادة للكلمات معنى يفوق المعنى الذي يجعلها المصطلحات ، فقد كنت في أغلب الأوقات أهتم في معاجم كبيرة كأنها الرياض الملتفة . وسبب ذلك أنني أرى أن الألفاظ إنما هي صور ، وما المعجم اللغوي سوى عالم قد رتب بحسب ترتيب حروف الهجاء . وإذا نظرنا إلى الأمور نظرة صادقة فإننا نجد أن معجم اللغة إنما هو الكتاب الذي لا يفوقه كتاب ، فإنه يشتمل على التصانيف بأجمعها ، فاعليك إلا أن تستدرجها منه ... وإني لأشعر في قلبي بحنوٍ عظيم إزاء كل كلمات اللغة . إني أشعر برأفة كبيرة أمام طائفة التعابير البسيطة والفضحة . إني أحبها كلها ، فهي تستميلني وتستفزني ، وإني لأمس الكتاب الذي يضمها مساً شديداً يتم على مبلغ تأثري وارتياحي » غير أن هذه الوسيلة التي يستعملها الناس في خطابهم ، ويستعين بها الأدباء في أداء رسالتهم ، قد أصبحت غاية في حد ذاتها للعلماء الذين انقطعوا إلى دراستها ، ووقفوا حياتهم على استجلاء غوامضها .

فلا عجب أن نهج لغويتنا العربي نهج من سبقه من علماء اللغة الأعلام ، من أبي منصور الأزهري صاحب التهذيب ، وأبي نصر الجوهري صاحب الصحاح ، ومجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس ، إلى البستاني ، والشدياق ، والشرتوني ، وسوام من المحدثين ، وأن ترسم خطي من سلف من أئمة التدقيق والتحقيق من أمثال جونسون ووبستر ، وأميل لثره ، فانخذ من اللغة غاية ما بعدها غاية ، يكب على نقد مفرداتها قد الصبر في وما أشبه لغويتنا من بعض الوجوه زميله الإنكليزي ضموئيل جونسون الذي سبقه بنيف وخمسين ومائة سنة ! ففيرة الأب على اللغة العربية تشبه فيرة جونسون على لغته الإنكليزية ، وأسلوب الأب المتين اللازم يعدل أسلوب جونسون (وإن يكن هذا الإنكليزي الصميم لم يرض قط أن ينزل إلى ميدان المساجلات والمناظرات بالرغم من الحملات التي كثيراً ما حملت عليه) وجلس الأب شبيه بالمتنبي الأدبي الذي أنشأه الدكتور جونسون

وهذه الخدمة تؤكد ما أشرنا إليه غير مرة من أن رجال القانون في مصر جعلوا مصر المقام الأول بين الأمم الإسلامية في شرح القوانين باللغة العربية ؛ ولو أن الأقدار كانت بخلت بأن يظفر « سعد زغلول » بذلك المجد الضخم ، المجد الوطني والسياسي ، ثم جاء كتاب الزيات يحدد نفسيته وعقليته من أفضيته ، لكان كافياً في جمل « سعد » من أعظم الرجال

هذا الكتاب جيد جداً ، فليس من الإصراف أن نرجو عميد كلية الحقوق أن يؤلف لجنة تنظر فيه ، تمهيداً لنهج المؤلف درجة جامعية ، وإغراءً لأمثاله من الشبان بالتعمق والاستقصاء وإذا كانت « ذكرى سعد » هي التي حدث المؤلف في بعض السنين الماضية على التفكير في موضوع كتابه الجليل ، فأننا أرجو أن تكون كلمتي عن كتابه فنناً من الاحتفال بذكرى « سعد » ، سعد القاضي على أعدل ما تكون فكرة القضاء فإن لم يكن بد من النص على السر في التوفيق الذي يحالف الأستاذ عبده حسن الزيات ، فأننا أرجو أنه يرجع إلى البر بالوالدين ، كتب الله له دوام التوفيق ... والسلام
رحمك مبارك

نصيح

نشرت « الرسالة » في العدد (٧٥) كلمة للأستاذ الفاضل حسين الظريفي عن يد حافظ :

كم ذا يكابد عاشق ويلاق في حب مصر كثيرة العشاق جاء فيها « على أن في البيت غلظة نحوية باستعمال لفظة (كثيرة) فهي إن نصبت على الحالية لم يستقم المعنى ، لأن كثرة عشاق مصر لا يكون حالاً من المكابدة ، وإن جرت على الصفة احتاجت إلى التحلية بأل المعرفة ، وبذلك يتكسر الوزن ، وعليه يكون من الضرورة استبدال لفظة (الجملة) بلفظة (كثيرة) ليستقيم الوزن والمعنى معاً » . ا . هـ

أقول : وهذه غلظة عجبية فإن (كثيرة) تصلح أن تكون حالاً وأن تكون صفة ، فإذا كانت حالاً فهي حال من مصر ، والعامل فيها ليس يكابد كما توهم الكاتب ؛ بل هو لفظ (حب)

وصحبه وحضره مؤرخه بُوزُول ، فسجل مباحثاته ومداولاته . ومقام لغويين العراق بين أقطاب العربية معروف مرهوق ، وجهاده في سبيل الفصحى مرئى مسموع ، ورأيه في التمسك بأهدابها مقبول متبوع . ولنا عليه أن يكمل مساعيه الموفقة في خدمة اللغة الشريفة بإخراج معجمه الكبير الذي وسعته « بالمساعد » ، فيتنفخ لإنجازه وتنقيحه وتبييضه ، فهو عصارة سعيه وخلاصة جهده .

(بغداد)

مير بصري

« سعد زغلول من أفضيته » (٥)

لم يكن الأستاذ عبده حسن الزيات ينتظر أن يكتب كلمة عن كتابه الجديد « سعد زغلول من أفضيته » ، لأنه يعرف أني فرطت في التنويه بمؤلفاته وأبحاثه التي ظهرت من قبل ، وإن كان يعرف مع ذلك أن تقى بفضلته وكفايته لا تحتاج إلى دليل الكتاب يُعرف من عنوانه ، كما يقال ، وعنوان هذا الكتاب غاية في الدقة والتحديد ؛ ومن غريب ما وقع لهذا العنوان أن الخطاط الذي كتبه - وهو حسنى - قد استطاع أن يبرزه في أبهى حلة من حلل الجمال ، مع أنه يقع في أربع كلمات يصعب الربط بينهما برباط الانسجام والاتساق ؛ وما أذكر أني رأيت الكتاب معروضاً في أية مكتبة ، إلا وقفت أمتع ذوقي بخط العنوان . فإلى « حسنى » الخطاط تحية خالصة لا يشوبها غير الحرص على إعزاز الفن الجليل

ثم أتحدث عن الكتاب بإيجاز ، فأذكر أنه من أقوى الشواهد على حصافة المؤلف ، وعلى مبلغ فهمه للدراسات الجدية ، وعلى أنه جدير بثقة الذين كرموه عند ظهور هذا الكتاب النفيس وأذكر أيضاً أنني ما تحدثت عن الأستاذ عبده حسن الزيات إلا وصفته بصدق الوطنية ، فهو عندى من الشبان النواذر الذين يفهمون الوطنية على وجهها السليم ، وقد جاء كتابه تأييداً لهذا الوصف : فهو خدمة صادقة لمصر ، ممثلة في إراز جوائب من الفقه والمدل عند أفراد من رجال القضاء ، على رأسهم « سعد » ،

(٥) كتاب في ٤٠٠ صفحة بالقطع المتوسط ، وفي الروتق للروف من « مطبعة الرسالة »

المضاف ؛ والمعنى يكابد العشاق في حب مصر خال كونها كثيرة
العشاق أي حبيهم لها في هذه الحال

وعلى أنها صفة تجري على الرأي القائل إن إضافة الصفة
المشبهة محضة أي إضافة معرفة ، وعلى ذلك فكثيرة معرفة

في نظم محمد حسن

في الشعر التمثيلي

كتب الأستاذ البشيشي في العدد ٤٧٣ من الرسالة يقول :
(فقد رأيت أن الشاعر البدوي الجليل عبد المطلب كان قد عالج
الرواية الشعرية علاجاً استكمل شرائط الفن واستوفى أوصاف
الحياة التي طالعنا من فنون أمير الشعراء ... فقد ألف عبد المطلب
عدة روايات شعرية تمثيلية ... وبذلك ينفرد وحده بفضل السبق
في هذه الناحية الخطيرة من الفن الأدبي ، فقد اقترح هذا اللون
من الشعر الروائي اقتراعاً) وكل ذلك لم يكن ؛ فعبد المطلب وإن
عالج الشعر التمثيلي ومشى فيه خطوات لا تحمد ولا تدم ، لم يكن
السابق ولا المقترح ، وإن كان له فضل الاستجابة السريعة لتلك
الموجة الجديدة بين شطآن أدبنا العربي الحديث ؛ وإنما السابق إلى
ذلك ، الشاعر خليل اليازجي كما يحدثننا أستاذنا المرحوم محمود مصطفى
في الجزء الثالث من أدبه العربي حيث يقول ص ٤١٣ (وعلى ذكر
روايات شوقي التمثيلية نذكر أن أول من حاول جعل الرواية العربية
كلها شعراً هو المرحوم الشيخ خليل اليازجي في رواية « المروءة
والوفاء » وقد مثلت في الشام ، ويذكر المرحوم جورجى زيدان
أنه شاهدها في بيروت ١٨٧٨ م) ولا شك أن حادثة كهذه بقاء
في الأدب قد وصلت إلى سمع الشيخ عبد المطلب ، وعلى فرض
أنها لم تصل إلى سمعه فقد ملأ الشعر التمثيلي في القرن التاسع عشر
أرجاء أوروبا ، هذه واحدة ؛ أما الثانية فعبد المطلب على فضله
لم يستكمل شرائط الحيوية التي طالعنا من فنون أمير الشعراء ؛
فهذا القول أقرب إلى الغلو منه إلى أى شيء آخر ؛ فشمس
عبد المطلب في هذا الباب لا يصح أن يذكر بجانب شوقي
وغزلته . فهما وإن اشتركا في الجنس فقد اختلفا في النوع أيما
اختلاف ، وإنك لن تستطيع أن تم قراءة تمثيلية لعبد المطلب

إلا بعد حمل على النفس وإعنات لها وإجهاد . حاشا شوقي فإنه
يطير بك فلا تشمر أن لعقلك أو لقلبك منازعة معه ، وإنما هي
الفجولة الشعرية تفرض عليك أن تطير معها حيناً تطير

عبد الرحمن هيسى

خريج كلية اللغة العربية

من نوارد الخواطر

كتب « قاف » في العدد ١٨٨ من الثقافة تحت عنوان
« شخصية العامل وعمله » ما يلي :
تمودنا منذ قريب أن نقول كلما عرضنا للحديث عن شخص
من رجالنا العامين ، وحاولنا الموازنة بين عمله وبعض تشوئه
الخاصة — تمودنا أن نقول معتدلين من بعض سلوكه . هذه
مسائل شخصية »

وهو يضرب لذلك الأمثلة ثم يقول : « مستحيل أن يكون
الرجل رجلين : رجلاً في الشارع والبيت ، ورجلاً في الديوان .
إن الرجل الذي هنا هو الرجل الذي هناك وإن اختلف الزى
والشارة .

فهل يعلم « قاف » أن هذه الفكرة ذاتها قد وردت
في مقال الأستاذ عبد النعم خلاف تحت عنوان « مقتول بيكي
على قاتله » في العدد ٣٧١ من « الرسالة » الصادر في ١٢ أغسطس
سنة ١٩٤٠ حيث قال الأستاذ :

إن هذا التفريق بين السلوك السيامي والسلوك الروحي قد
صار أمره عجيباً من أعاجيب الحياة الأوربية ! وقد بات خطراً على
الحياة الإنسانية الشخصية ، لأنه تسرب إلى موازين الحكم على
الأفراد ، فهم يحترمون الذكي ويقدرونه ولو كان شيطاناً شريراً
مفتنداً ويقولون هناك حياة خاصة يحل للانسان فيها ما يحرم عليه
في الحياة العامة حتى تعددت الشخصيات . ثم يقول بعد ذلك :
هذا كذب وتدليس على الطبيعة كما أرادها الله فاحذروه ،
« ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » إلى آخر المقالة
فهل يرى « قاف » أن هذا من توافيق الخاطر ؟

أحمد جبرانه